الوصية الجلية
للسالكين طريقة الخلوتية

تصنيف

قطب الدين الأستاذ سيدي مصطفى بن كمال الدين البكري

تحقيق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

الناشر

دار الحقيقة

للبحث العلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نعمه لا تحصى، وآلاؤه الجميلة لا تستقصى، وصلى الله على سيدنا محمد الذي أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، نبي بأنوار طلعته بارق الدين الحنيفي حصحصا[1]، وعلى آله الطاهرين، وأزواجه المبرَّآت نصَّ على فضلهن الحق في كتابه نصًّا، وعلى أصحابه الذين اهتدوا بأنوار شريعته واتبعوه، ونالوا القرب بمتابعته، وكل منهم بجمال الثناء على ذاته اختص.

وسلم تسليمًا كثيرًا وبعد.

فيقول العبد الفقير، والعاجز الحقير، تراب الأقدام، وخادم الخدام مصطفى بن كمال الدين بن علي، الصديقي نسبًا، الخلوتي طريقةً، الحنفي مذهبًا: لما منَّ الله سبحانه وتعالى بزيارتي للبيت المقدس الأقدس، والمنـزل السامي الأنفس، ثم منَّ عليَّ بزيارتي لكليمه موسى عليه السلام، وخليله إبراهيم عليه السلام، وأولاده الكرام، وبقية الأنبياء الأعلام، ثم بزيارتي للأنبياء الذين في جبال نابلس حين ذهابي إلى زيارة سيدي الشيخ علي بن خليل العمري -قدس الله سره- ثم بعد ذلك قضى بتوجهي إلى نحو أراضي دمشق الشام المحفوفة باللطف والإنعام، وكانت مدة إقامتي في بيت المقدس ستة أشهر وبعض أيام، وذلك لأني خرجت من الشام في تاسع محرم الحرام سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف، ودخلت بيت المقدس في التاسع والعشرين من محرم الحرام، وعزمنا على التوجه في أوائل شعبان المبارك من السنة المذكورة، وكان قد اتصل بطريقتنا الطريقة الخلوتية جماعةٌ، فلمَّا أردنا التوجه قصدنا أن نتحفهم بوصيةٍ مختصرةٍ جامعةٍ لأغلب أركان الطريق؛ لتكون منبهةً لهم فيما يحتاجونه من التخلق بأخلاق أولئك الفريق، والله أسأل أن ينفع بها من طالعها، وعمل بما فيها من الإخوان، وأن يجعلها سببًا لجلبهم إلى نيل مقامات الإحسان، إنه سبحانه على كل شيء قدير، وبعباده خبير بصير.

وسمتيها: «الوصية الجلية للسالكين طريقة الخلوتية». فأقول ومنه سبحانه ارتجي نيل القبول:

---

(١) في نسخة (حصى).

اعلموا إخواني -وفقني الله وإياكم في السلوك طريق المقربين الأخيار، وعصمنا من الزيغ عن الشريعة المحمدية، والاغترار- أن طريق السادة العارفين من أهل الحق والطريق المبين -رضي الله تعالى عنهم أجمعين- طريق غيب غير محسوس ولا مشهود، وسلوكه بالقلوب؛ لأنه من الغيوب، فيجب على المريدين التصديق بآثاره، والإذعان لسطعات أنواره مع الجِدِّ والاجتهاد، والتوجه الكلي والاستعداد؛ لأن سلوكه يصعب على النفوس؛ لكونه علم ذوق لا يسطر في الطروس، فمثال السالك فيه كمثال السائر في طريق الحج، فإن مَن أراد السير في طريق الحج لابد له من ترك مألوفاته، وهنا كذلك.

ثم يترك الأهل والأوطان رغبةً في رضاء الملك الدَّيان، وكذلك هنا لابد له ألا يلتفت إلى أهل ولا أوطان ولا أصحاب ولا خلان، بل لابد له من زاد وهو هنا التقوى لقوله عز من قائل: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧].

ولابد له من سلاح ليضرب به عدوه، وهو هنا الذكر.

ولا بد له من مركوب حتى يهون عليه الطريق، وهنا المقصود منه الهمة؛ لأن بها يرتقي المريد إلى أعلى المقامات.

ولابد له من دليل يسير أمامه، وهو هنا الأستاذ المربي، فإن مَن سلك الطريق بغير دليل تاه وضل، وربما هلك مع الهالكين.

ولقد أشرت إلى ذلك بقولي سابقًا في الرسالة التي سميتها «النصيحة السنية في معرفة آداب كسوة الخلوتية»:

إن لم يكن تشهد لحي سعاد ... لا تنزلن منازل الآساد
أو إن تكن سكران من خمر السوى ... إياك أن تدنو لأرض الوادي
فلئن دنوت أصبت من آسادها ... وطردت عن ذاك المقام النادي
فإذا أردت فخذ إمامك سيدًا ... يحميك من طرد ومن إبعاد
من بعد سر بفناء ظل ركابه ... واعرف له حق المقام البادي
إياك أن ترقى بلا درج فإن ... تصعد هلكت ولم تنل المراد

أو أن تسير بغير معرفة بار ... ض الفوز عند ذوي المكان الشادي

هذي عروس أين من تجلى له ... هذى المليحة اين من يك صادي

إياك دعوى الوصل قبل وصولها ... فإذا فعلت فضحت في الإشهاد

فالزم إلى حي السكوت ميمّمًا ... أرض الخفاء ومنزل الأفراد

ولابد له من رفقة يستأنس بهم في طريقه، يساعدونه في سحقه وتمزيقه، والمقصود منهم إخوانه الذين هم طالبون مطلبه.

ثم إنه إذا سار وأراد أن يشعل مصباح الحكمة في بيت قلبه المظلم من آثار السوى والعمل بالحظ والهوى ليرى ما فيه من الرذائل فيطهره منها ويخرج بكليته عنها فلابد له من سبعة أشياء؛ لأن مَن أراد أن يوقد مصباحًا لابد له منها، وهي: الزناد، والحجر، والحراق، والكبريت، والمسرجة، والفتيلة، والدهن.

فمن طلب أن يوقد مصباح الحكمة فلابد له من زناد الجهد، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

ولابد له أيضًا من حجر التضرع، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف:٥٥].

ولابد له من حراق، وهو احتراق النفس بالمخالفة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ [النازعات:٤١].

ولابد له من كبريت الإنابة، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤].

ولابد له من مسرجة الصبر، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

ولابد له من فتيلة الشكر، قال تعالى:﴿وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [النحل:١١٤].

ولابد له من دهن الرضاء بالقضاء قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [الطور:٤٩].

فإذا تخلق المريد بهذه الأوصاف السبعة فحينئذٍ يمكنه أن يشعل مصباح الحكمة في قلبه، وهذه أول كرامة يكرم الله تعالى بها المريد أن يوقد في قلبه مصباحًا ملكوتيًا حتى أنه بعد ذلك إذا دست عليه النفس دسيسة يطلعه الله عليها لوجود ذلك النور المقذوف في القلب، فتقل عليه الدسائس النفسانية، وإنما قلنا: تقل؛ لأنها ربما دست دسيسة قبيحة، وزينت للمريد أنها جميلة، فإذا نبهه الله تعالى عليها نجا منها وإلا وقع فيها، وأيضًا فقد شبهوا القلب ببيت فيه خمس كوات يدخل منها الهواء إذا فُتحت، وإذا غلقت امتنع دخول الريح إلى ذلك البيت، فعند غلقها يقوى نور ذلك المصباح، ويشرق البيت به، وإذا فتحت تلك الكوات أو أحدها ضعف إشراق ذلك المصباح، وربما طفئ.

فالمقصود من الكوات الخمس: الحواس الخمس، فإذا شغل المريد الحواس الخمس اشتغل القلب لاشتغالها، وكذا لبعضها، واذا منعها من الاشتغال بغير الحق تعالي اشتغل القلب بمراقبة جلال الحق، وعظمته وكبريائه التي هي كناية عن المصباح.

ومعلوم أن هذه المراقبة هي التي يهدي بها أهل الطريق، ويحصل لهم بها كمال التوجيه، فإذا غفل المريد عنها فكأنه أطفأ ذلك المصباح.

فينبغي لسالكين طريق القوم -رضي الله تعالي عنهم وأرضاهم- أن يفرغوا قلوبهم من كل علة عن كل مبعد من حضرات القرب؛ لأن في ذلك حياة القلوب، وفيه استمطار ماء الغيوب، والمدد الإلهي لا يقع إلا في قلوب فارغة متعطشة إلي ذلك غالبًا، فليجتهد المريدون لنيل هذه الإمدادات الإلهية في التخلية لينالوا بعدها التحلية، فإن من لم يتخل لايتحلى.

ثم مما يجب على الإخوان -وفقهم الله تعالى إلى اجتناء ثمرات العرفان- أن يعرفوا أولاً قبل كل شيء ما يجب لمولانا جل وعز، وما يجوز، وما يستحيل، وكذلك في حق الرسل- عليهم الصلاة والسلام- ثم يعرف المريد ما يحتاج إليه من باب الطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة إن وجد عنده النصاب، والحج إن وجب عليه ذلك بقدر الضرورة.

ولا يشتغل في القدر الزائد على ذلك إلا بعد الكمال، فإن أهل الطريق يجب عليهم ألا يخطوا خطوة ينكرها الشرع عليهم، فإن كل مَن خالف الشريعة المحمديه تاه وضل عن

الطريقة المرضية، فالشريعة أصل، والحقيقة فرعها، فكل مَن لم يحكم الأصل لا ينتفع بالفرع، ولهذا كان سيد رؤساء هذه الطائفة أبو سليمان الداراني -قدس الله سرَّه- يقول: ما حرموا الوصول إلا بتضييعهم الأصول.

فشريعة بلا حقيقة عاطلة، وحقيقة بلا شريعة باطلة، ولهذا قال الشيخ محيي الدين -قدس الله سرَّه-:

لا تقتدي بالذي زالت شريعته ... عنه ولو جاء بالأنبا عن الله

ومما يجب عليهم القيام بأوراد الطريق جميعها من غير إخلال بشيءٍ منها، وأن يوبخوا نفوسهم إذا تخلفوا عن مجلس ذكر أو وعظ وغير ذلك، فيقول المتخلف في حضرة إخوانه: يا فرحكم، حضرتم المجلس، ويا شقاوتي، الذي فاتني ذلك، وليحذر المتخلف أن يعتاد ذلك، فيوقعه في الكسل، ويحرم بركة الاجتماع مع إخوانه في الذكر والأوراد، فإن الذاكر جالس في حضرة الله تعالي، وإذا دخل المريد وحده إلى تلك الحضرة ربما حصل له في تلك الحضرة هيبة تمنعه من الاستغراق والتمادي في تلك الحضرة، وإذا كان مع إخوانه لا يحصل له شيء من ذلك.

وأيضًا فإنه إذا كان مع إخوانه حكم لنفسه بنيل الخير، وحصول الرحمة، وأما إذا كان وحده، فإنه لا يحكم لنفسه بذلك لما يعلم هو من أحوال نفسه، ولعدم رؤية نفسه أنه أهلاً للرحمة، والذاكرون لله هم القوم لا يشقى جليسهم، فإذا جلس معهم من يرى نفسه أنه ليس أهلاً للرحمة الخاصة تحقق بمجالسته لإخوانه حصول الرحمة العامة له بهم.

وأيضًا فإن المؤمنين كالبنيان يشد بعضه بعضًا، فإذا تخلف واحد من الإخوان وتمادي علي ذلك وكان ذلك لغير عذر ضروري ربما تبعه في ذلك آخر، والآخر آخر فتتبعه جميع إخوانه، فيكون هو الذي يتحمل وزر هذه السيئة، وتكتب في صحيفته، وكان سيدي إبراهيم الدسوقي - قدس الله سره- يقول: ما قطع مريد ورده يومًا إلا قطع الله عنه الإمداد في ذلك اليوم، فإن طريق القوم طريق تحقيق، وتصديق، وجهد، وعمل، وتنزه، وغض بصر، وطهارة يد وفرج ولسان، فمن خالف شيئًا من أفعالها رفضته كرهًا.

وكان يقول ﷺ: قوت المريد الصادق في بدايته الجوع، ومطره الدموع، وفطره الرجوع، يصوم حتى يرق، ويلين قلبه، وتدخل الرقة في قلبه، وأما من شبع ونام ولغا في

الكلام، وترخص، وقال: ليس على فاعل ذلك ملام فلا يجيء منه شيء، والسلام.

ومن أوصافهم: ألا يقول أحد منهم مالي، ولا متاعي، ولا كتابي، ولا ثوبي؛ لأن العبد لا ملك له مع سيده، فلا يمنع أحدًا من إخوانه كتابه ولا ثوابه ولا حاجة من حوائجه إذا كان أحد إخوانه محتاجًا إليها، لأن الإخوان جميع مالهم مشترك بين إخوانهم ليس لأحدهم ملك حاجة دون الآخر، وليس لهم أن يمتحنوا بعضهم بعضًا بطلب شيء لا تسمح به النفوس عادة إلا عند الاضطرار الكلي، وإذا طلب أحد من أخيه حاجة أن يكون طلبه برفق ولين، ويكون عطاء المسئول أيضًا ببشاشة وفرح، ويرى أن الفضل للآخذ.

ومما يجب عليهم التخلق بالأخلاق الكريمة، وتجنب الأوصاف الذميمة؛ لأن التصوف هو الصفاء والوفاء، والتخلق بأخلاق المصطفى، ولقد ذكرت في الرسالة المتقدم ذكرها، تفسير أبي العباس المرسي الصوفي فسبكت ذلك في أبيات وهي هذه:

الصاد في الصوفي صدق مع صفا ... والصبر في السراء والضراء
والواو وجد ثم ود صافي ... ووفاؤه جهرًا بغير خفاء
والفاء فقد ثم فقر دائم ... وفناؤه عنه لنيل مناء
والياء نسبة لحضرة ربه ... فاعمل بذا إن رمت للعلياء

ولا يكفي المريد التعلق بل لابد له من التخلق، وهما يثمران التحقق، ومما يجب عليهم القيام بشروطه الثمانية قيامًا كليًا، وقد ضبطتها نظمًا فقلت:

شروط طريقنا المرضي عدت ... ثمانية فلازم من حواها
ولازم وردها وانهض بعزم ... لترقى في مراقي من عناها
وتصبح واحدًا في الناس فردًا ... خليلاً من سنى باهي سناها
فعل صمت وجوع ثم سهر ... بليل الوصل كي تجنى جناحها
دوام طهارة ودوام ذكر ... ونفي خواطر فارق ذراها

وربـط مـن مريـد قلـب وجـد | بقلـب الشيخ فاحرزهـا انتباهـا

وقال ﷺ:

صمت وجوع سهر ثم اعتزال | دوامك تطهير فانهض للكمال
دوام ذكر نفي كل خاطر | ويربط قلب بأم ذي منال
هذي الثمان شروط فارعها | فإنها أركان سير للوصال

الأول: الصمت، وعلى المبتدئ أن يصمت بلسانه عن لغو الحديث، وبقلبه عن جميع الخواطر في شيء من الأشياء، فإن مَن صمت لسانه وقلبه انكشفت له الأسرار، وجلبت عليه المعارف الأبكار، فإذا صمت المريد بقلبه ولسانه انتقل إلى مقام المحادثة السرية؛ لأن صمت الإنسان في نفسه لا يمكن أصلاً، وهذا الصمت يورث معرفة الحق سبحانه وتعالى، ولقد قلت فيه:

انظر أخي لما في الصمت من حكم | واعمل به كي تنل قربًا وإحسانًا
واصمت بقلبك عن كل الوجود وقم | في وصفه يا فتى سرًّا وإعلانًا
فذاك نور به تهدى القلوب إلى | حظائر القدس تحققًا وإيقانًا

الثاني: الجوع، وهو اضطراري واختياري، وجوع أهل الطريق اختياري لا اضطراري، ولو لم يكن كذلك لما كان فيه مزيد فائدة، ولذا قال بعضهم: لو يباع الجوع في السوق للزم المريدين ألا يشتروا غيره، ولكن بشرط ألا يضر بنيته، وقد ورد في حديثٍ مرسل: **«إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش، وهو يورث معرفة الشيطان»**[1].

الثالث: السهر، وهو على قسمين:

سهر العين لتعمير الوقت، ولدوام الترقي في المنازل العلية؛ لأن بنوم العين يبطل عمل القلب، ففائدة السهر دوام عمل القلب.

وأما سهر القلب فهو من نوم تيقظه الغفلة، والبعد إلى منازل المشاهدة والقرب.

(١) رواه البخاري (٢/ ٧١٧)، ومسلم (٤/ ١٧١٢).

والسهر ينشأ عن فراغ المعدة من فضلات الطعام والشراب، وهو يورث معرفة النفس.

الرابع: الاعتزال، وهو الانفراد والانقطاع عن الخلق إيثارًا لصحبة المولى سبحانه وتعالى، ويكون بالأجسام وهذا حال المريدين، وبالقلوب وهذا مقام العارفين، وهو لا يكفي عن اشتراط الصمت؛ لأنه إن حصل به الصمت باللسان فقد لا يحصل به الصمت بالقلب، فمن داوم عليه وقف على أسرار الوحدانية، وهو يورث معرفة الدنيا.

الخامس: دوام الطهارة ظاهرًا وباطنًا؛ لأن طهارة الظاهر تؤثر في الباطن، ولما قد ورد في الحديث القدسي: «**يا موسى، إذا أصابتك مصيبة وأنت على غير وضوء فلا تلومن إلا نفسك**»(١).

ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**دم على الطهارة يوسع عليك الرزق**»(٢).

والحديث محتمل للرزق الظاهر والباطن، وهي تورث معرفة تطهير القلب وتزكيته.

السادس: مداومة الذكر بالاسم الذي يلقن الشيخ المريد به، فإن المريض إذا استعمل الدواء المناسب لمرضه ومزاجه أثر معه ذلك بقدرة الله في الحال، والشيخ لا يلقن المريد إلا ما يناسب حاله، فلا ينبغ للمريد أن يستعمل إلا ذاك؛ لأنه أنفع للقلب من ذكر المحبوب، وهو يورث معرفة المذكور.

السابع: نفي الخواطر عن القلب لئلا يشتغل بها عن استحضار معاني الذكر، والحضور والخشوع فيه، وبنفيها يحصل خلوص القلب من الأكدار، وتظهر فيه لمحات الأنوار، وهو يورث معرفة تخليص التوحيد من الشرك الخفي.

الثامن: ربط قلب المريد بالأستاذ، ومعناه أن يداوم المريد على مشاهدة صورة الشيخ، وهذا آكد الشروط عند القوم، وهو يورث معرفة الترقي من مقامٍ إلى آخر.

ومن أوصافهم إذا اجتمعوا في حلقة ذكر أن تتوافق أصواتهم؛ لأن ذلك أبلغ في التأثير، وإذا خالف أحدهم ينبغي أن يرجع إلى موافقتهم، فإن لم يرجع يكون أساء مع

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٢٦٦٣).

(٢) ذكره المناوي في الفيض (٤/ ٢٧٣).

إخوانه؛ لأنهم لا يحصل لهم الحظ التام إلا إذا توافق منهم الأصوات، وكانت مسألتهم واحدة، وأن يتضاموا لئلا يدخل الشيطان بينهم، وألا يخلو بأدب من آداب الذكر، وهي عشرون أدبًا، خمسة سابقة على الذكر، وإثنى عشر في حالة الذكر، وثلاثة بعده.

فأما الخمسة التي قبله:

فأولها: التوبة، وحقيقتها عند القوم: ترك ما لا يعني قولاً وفعلاً، وإرادة، ومعنى ذلك كل شيء لايرقي المريد في طريقه فليتركه.

ثانيها: الغسل للذكر أو الوضوء.

ثالثها: السكون والسكوت ليحصل له بذلك الصدق وجمعية القلب على الحق سبحانه وتعالى، ثم بعد ذلك يشغل قلبه في الذكر، ثم يتبع اللسان القلب.

رابعها: أن يستمد بقلبه عند شروعه في الذكر همة شيخه.

خامسها: أن يرى أن استمداده من شيخه هو استمداده حقيقة من النبي ﷺ لأنه الواسطة بينه وبينه.

وأما الاثنى عشر التي في حالة الذكر:

فالأول: جلوسه في مكان طاهر.

الثاني: أن يضع راحتيه على ركبتيه.

الثالث: تطييب مجلس الذكر بالرائحة الطيبة، وكذلك ثيابه.

الرابع: لبس اللباس الطيب الحلال، ولو شراميط الكيهان.

الخامس: اختيار المكان المظلم إن وجد.

السادس: تغميض العينين لكي تنسد طرق الحواس الظاهرة، وبسدها تنفتح حواس القلب.

السابع: أن يخيل شخص شيخه بين عينيه، وهذا آكد الآداب.

الثامن: الصدق في الذكر حتى يستوي عنده السر والعلانية.

التاسع: الإخلاص فيه، وهو تصفية العمل من كل شوب.

العاشر: أن يختار من صيغ الذكر (لا إله إلا الله) فإن لها عند العارفين تأثير لا يوجد في غيرها من الأذكار.

الحادي عشر: استحضار معنى الذكر بقلبه على اختلاف درجات المشاهدة في الذاكرين، ويجب على المريد أن يعرض على شيخه كل شيء ترقى إليه من الأذواق ليعلمه كيفية الأدب فيه.

الثاني عشر: نفي كل موجود حال الذكر في القلب سوى الله سبحانه وتعالى؛ فإن الله غيور أن يرى في قلب عبده المؤمن غيره، ولولا أن الشيخ له مدخل في التربية والترقي ما شرطوا على المريد تخيله في قلبه، وإنما نفوا على القلب كل ما سوى الله ليتمكن لهم تأثير (لا إله إلا الله) بالقلب، ويسري إلى جميع الأعضاء كما أنشدوا في ذلك:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وأجمعوا على أنه ينبغي للمريد إذا ذكر الله أن يهتزَّ من فوق رأسه إلى أصابع قدميه، وهي حالة يستدل بها على أنه صاحب همة فيرجى له الفتح عن قرب.

وأما الثلاثة التي عقب الذكر:

فأولها: أن يسكن إذا سكت ويخشع ويحضر مع قلبه مترقبًا لوارد الذكر فلعله يرد عليه وارد فيعمر وجوده في لمحة أكثر مما تعمره المجاهدة والرياضة في أكثر من ثلاثين سنة، وذلك أنه إذا كان الوارد وارد زهد فيجب عليه التمهل فيه حتى يتمكن فيه الزهد ويصير يتنغص إذا فتح عليه بشيء من الدنيا عكس ما كان عليه في الأول، وإن كان وارد صبر على تحمل الأذى مثلاً فيجب عليه التمهل فيه حتى يستحكم، ويصير إذا قام الوجود كله عليه بالأذى لا تتحرك منه شعرة كما لا يتحرك الجبل من نفخة ناموسة وهكذا بخلاف ما إذا لم يترقب حصول شيء من ذلك، فإن لا يحصل له تحقق بذلك المقام الذي أتى به الوارد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ فما لم يكن عند الذاكر اشتياق وطلب لشيء لا يعطاه.

ثانيها: أن يزم نفسه مرارًا من ثلاثة أنفاس إلى سبعة إلى أكثر من ذلك بحسب قوة

عزمه، وهذا كالمجمع على وجوبه عند القوم، فإنه أسرع في تنوير البصيرة، وكشف الحجب، وقطع خواطر النفس والشيطان.

ثالثها: منع شرب الماء عقب الذكر، فإن الذكر يورث حرقة وهيجانًا وشوقًا إلى المذكور الذي هو المطلوب الأعظم من الذكر، وشرب الماء يطفيء تلك الحرارة.

فليحرص الذاكر على هذه الثلاثة آداب فإن نتيجة الذكر إنما تظهر منها.

ذكر هذه الآداب الشيخ الشعراني في «النفحات القدسية في بيان قواعد الصوفية» وقال فيها: «ولقد رأيت مرة سيدي الشيخ محمد الشناوي ﷺ في المنام بعد موته، فقال لي: أدب أصحابك حتى يثمر فيهم الذكر، فإن الذاكر إذا لم يكن معه أدب فهو كذكر الشيطان لله عز وجل سواء، والشيطان لا ترقٍ له بذلك لأنه ممن سبق له الشقاء».

فينبغي لمن أراد أن تظهر له ثمرة ذكره أن يقوم بهذه الآداب جميعها، ولا يخل بشيء منها؛ فإن فائدة الذكر لا تظهر بدونها.

ومن أخلاقهم الرفق واللين وخفض الجناح لإخوانهم، وإذا أراد أحد أن ينصح أخاه فالنصيحة بلطف لقوله ﷺ: «مَن أمر بمعروفٍ فليكن أمره بمعروف»[1].

وليحسن خلقه في معاشرة إخوانه، وليكن هينًا لينًا لقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الخلق»[2].

وكان يقول في دعائه: «اللهم حسن خُلُقِي وخَلْقِي»[3].

وليكونوا على بعضهم أشفق من أحدهم على نفسه، وأن يوقظوا بعضهم بعضًا في الأسحار، وأوقات الغنائم والأذكار بتلطفٍ، وأن يخصص كل منهم إخوانه بالدعاء في أوقات حصول الاستئناس والبسط لأحدهم في الخلوات؛ لأن دعاء الأخ في ظهر الغيب لا يرد، وألا يسلم كل منهم لصاحبه ما يقتضيه الطريق إلا إذا كان الفاعل لذلك الشيء

---

(١) رواه الديلمي (٣/ ٥٨٥)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٩٩).

(٢) ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء(٥/ ٢٨١)، وقال: أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول بإسناد فيه ضعف.

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/ ٢١٧).

أعلى من المعترض فينبغي له أن يستفهم عن ذلك من الأعلى، ويسلم له فعله إذا جاء بحجة موافقة للطريق، وأن كلاً منهم يقدم مصالح إخوانه على مصالح نفسه، ويرى الفضل لأخيه حيث إنه تسبب له في نيل الثواب باستقصائه لحاجته، قال ﷺ: «إن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»(١).

وإذا غاب أحد عن الأوراد فليسألوا عنه، فإن غاب لحاجة دعوا له بقضائها، وإذا كان مريضًا عادوه، وإن احتاج أحد منهم للخدمة جلس عنده للخدمة وطلبوا له من الله الشفاء عقب التهجد وفواتح الأوراد، ويكونون كلهم كجسد واحد.

ومن أوصافهم: إذا وجدوا في باطنهم ضيقًا فإن يكن الذي أصابه ذلك عند الشيخ أخبره به وإلا فيتوجه بكليته إلى أستاذه ويسأله رفع ذلك عنه، وإن حرم أحدهم اللذة في مناجاته وطاعاته فليبادر بالتوجه والاستغفار؛ فإن ذلك من عقوبة ذنب صدر منه، وليحذر المريد من تغيير باطن الشيخ عليه؛ فإن ذلك يؤثر في المريد ولو بعد وفاة الشيخ، وقد قال بعضهم: لن يصيب المريد آفة من الآفات ما دام باطن الشيخ متوجهًا إليه، فإذا طرقته آفة فليبادر إلى شيخه ويسأله المسامحة إن يكن الشيخ عنده، وإلا فليتوجه بقلبه إلى الشيخ ويسأله الصفح عنه، ولهذا قال سيدي أبو العباس المرسي -قدس الله سرَّه-: كل مريد خاف من الخلق مع وجود أستاذه فهو كاذب في إرادته، وفي استناده إلى شيخه، فإن المريد مع شيخه كولد اللبؤة في حجرها، أفتراها تاركة ولدها لمن يريد اغتياله؟ لا والله.

ومن خلقهم: الذل والانكسار مع الصغار والكبار؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر على الله وضعه الله»(٢).

وقد قال السيد الجليل الإمام عبد القادر الجيلاني -قدس الله سرَّه-: ما وصلت إلى الله بقيام ليلٍ ولا صيام نهارٍ ولكن وصلت إلى الله بالكرم والتواضع وسلامة الصدر.

وألا يكون عندهم حقد ولا حسد ولا مشاحنة ولا استهزاء بأحدٍ من المخلوقين، وأن يبادروا بالأعمال الصالحة، ولا يهملوا وقت عبادة إلى غيره فما فات لا يعاد، وإلى ذلك

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٧٤)

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٧/ ١٢٠)

أشرت بقولي:

قــم وبــادر ودع جميــع المعــاصي — وتخلــق بالــصدق والإخــلاص
ثــم إيــاك عــل فهــي خليلي — علــة للــردى تجــر النــواصي
ثم خـف في المعـادي مـن عـدل عـدل — عــالم ثــم للـذنوب فحــاصي
وتجــرد فكــم تــرى يــا مغنــي — عــن حمــى ذا الإلــه بــاللهو قــاصي
لا تعــرج عــلى الــسوي ودع الميــ — ــل لقــول الوشــاة في الأشــخاص
ثــم قــم في الدجــى ناجــي بــذل — سيدي مــن ســواك حسن خــلاصي

وقد قيل: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

ومن شأنهم: دوام المجاهدة، وترك الشهوات، فمن وافق شهوته عدم صفوته.

وإنهم لا يبالون بكلام العذال من أهل الجدال، وممن لم يسلك الطريق، ولا ذاق حلاوة التمزيق والجمع والتفريق.

ومن أخلاقهم: الإقبال على الأستاذ بالكلية لكي يقبل هو عليهم كذلك، وهذا من باب العدل، وفي المحبة أن يحبوه أكثر من مالهم وأهلهم وولدهم ونفوسهم والخلق أجمعين بعد محبة الله ورسوله، وذلك للأشياخ ﷺ بالإرث لأن الخير كله عند الأشياخ ﷺ لأنهم هم الأبواب، ولقد قلت في ذلك:

الخـير في بـاب الـشيوخ فلـذ بهـم — كـيما يـزول عـن العيـون غـشاها
وأقــم عــلى أعتــابهم بتــذلل — يــزول عــن عـين الفـؤاد غطاهــا
قــوم لهــم رتــب المعــالي منــزل — ونــزيلهم يرقــى إلى أعلاهــا
والقلــب قربًــا يــنجلي بــسنائهم — والــروح فــيهم تحتظــي بمناهــا
يــا طالبًــا في غــير ســلمى مطلبًــا — دع عنــك يــا جــاني شــهود ســواها

واطلب بصدقك شربة تزل الظما وهي الشفا أواه ما أحلاها

ومما يجب عليهم: عدم تتبع عورات الخلق، وإذا ظهرت من أحدهم هفوة ستروها أو زلة تجاوزوا عنها، وإذا كشف لأحدهم عن عورات الناس سأل الله أن يستر عنه ذلك؛ لأن ذلك كشف شيطاني لا يعبأ به، وفي حديث الطبراني مرفوعًا: «من تتبع عورات الناس تتبع الله عورته، ومن تتبع عورته فضحه ولو في جوف رحله»[1].

وكان الحسن البصري ﷺ يقول: والله لقد أدركنا أقوامًا لا عيوب لهم فتتبعوا عورات الناس فأحدث الله لهم عيوبًا.

وكان سيدي أحمد الزاهد يقول: إذا رأيتم أحدًا من إخوانكم على معصية فاستروه، فإن تجاهر بها فوبخوه بينكم وبينه، فإن لم ينزجر فوبخوه بين الناس مصلحة له لعله يرعوي وينزجر، وما دام يعصي في قعر داره ولو بحضرة أطفال داره فهو لم يتجاهر إلا إذا كانت الأطفال من أهل العبارة فإنهم كالرجال.

وقد أنشد بعضهم في ذلك:

قبيح على الإنسان ينسى عيوبه ويذكر عيبًا في أخيه قد اختفى

فلو كان ذا عقل لما غاب غيره وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى

ومن شأنهم: أن ينفقوا على إخوانهم وعلى نفوسهم كل ما فتح الله به عليهم أولاً فأولاً، ولو كان شيئًا زهيدًا، ولا يعودون نفوسهم الاختصاص بشيء عن إخوانهم أبدًا، فإن من آثر نفسه على إخوانه في الشهوات لا يفلح ولا يرتقي المقامات، ومن شأن المتقدم عليهم في البدء والختام ألا يعجل عليهم في الختم على الخصوص إذا رأى الذكر قد احتبك، والأصوات قد توافقت والأشواق قد تحركت فليصبر على إخوانه حتى يعلم أنهم قد أخذوا بعض حظهم من الذكر وبعد ذلك يختم، وأيضًا فينبغي له ألا يشدد عليهم إذا رآهم قد ملوا وغلبهم النعاس أو فيهم ذو حاجة فالرفق بالإخوان محمود، وينبغي لهم أن كل من تقدم عليهم يقدمونه ولا يتنافسون، فيقفون عن السير.

---

(١) رواه أبو داود (٤/ ٢٧٢).

وهذه من وصية سيدي أحمد الرفاعي ﷺ لأصحابه، وينبغي لهم ألا يتقدموا في بدء الفواتح وختمها على من قدموه أولاً، وأن يوافقوه في ذكره ولا يخالفوه وليحذر المتقدم من رؤية نفسه على إخوانه في تقديمهم له وإياه وحب الرئاسة؛ فإنها سيف قاطع يقطع ظهور المريدين الذين ليسوا بصادقين، فإن الرياسة لا تحل في قلب أحد إلا هلك.

ومن الواجب عليهم: عدم الإنكار على أحد من الخلق إلا أن يكون فعله يناقض الشريعة مع ثبوت عقله، وأما مَن زال عقله بعارض كوني أو تجلٍ إلهي فلا يعترض عليه، فإنه مسلوب الاختيار، وإذا لقي أحد منهم أخاه أن يتصافحا ويسلم كل منهما على أخيه، ويسأله الدعاء في ظهر الغيب عند المفارقة، وإذا سأل أحد منهم عن حال أخيه أثنى عليه غاية الثناء لما يعتقده من أخيه في علو المقام، ولا يوافق من يحط على أحد من إخوانه ولو كان ذلك أيضًا من إخوانه بل ينهاه على ذلك، ويحذره من مثل هذا، فإذا انتهى وإلا هجره لينتهي، وإذا نقل له أحد أن بعض إخوانه قذفه أو سبه فليقل للناقل: يا هذا، أنا لا أصدق في أخي ما تقول لما أعلم من وده، وإذا وقع من أخي ذلك فلغلبة نار نفسه عليه، وليس ذلك باختياره، وأنا أشهدك أني سامحته، فبهذا لا يقع التنافر بين الإخوان.

ومن أوصافهم: ترك المجادلة والمباحثة والمماراة فإن طريق القوم بعيد عن ذلك، وينبغي إذا سأل أحدهم عن مسألة أن يدفع السائل إلى الشيخ، فإن لم يكن فإلى أحد إخوانه، فإن لم يكن منهم أحد ولا كان في ذلك المكان من يدفعه إليه فحينئذٍ يجيبه المريد مع رؤية نفسه أنه ليس أهلاً لذلك، فإن كل من فتح على نفسه من المريدين باب المجادلة فقد فتح على نفسه باب الرئاسة، ومن فتح على نفسه باب الرئاسة لا يفلح أبدًا، فليجتهد المريد في شرط الصمت ما أمكن.

ومن شأنهم: التباعد عن مخالطة الأحداث ومعاشرتهم؛ فإن معاشرة مثل هؤلاء مما يوقع المريد في المهالك؛ لأن النفس أمارة بالسوء ميالة إلى المعاطب، تلقي صاحبها في المهلكات، وتحسن له فعل مثل ذلك، ويساعدها الشيطان والهوى في مرامها حتى يسقط المريد في وادي الميل إلى الأحداث أو النساء فيقع بسبب ذلك في الأمور التي لا ترضي نعوذ بالله من شرور نفوسنا الأبية، ونسأل الله تعالى المعونة على دسائسها الخفية، وقد قال القشيري ﷺ: ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فبإجماع الشيوخ ذلك عبد أهانه الله وخذله بل

عن مصالح نفسه شغله، ولو بألف ألف كرامة أهله.

وكان الواسطي ﷺ يقول: إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف، يريد بهم الشباب المرد الذين تميل إليهم النفوس، فليحذر المريد الصادق من مجالسة الأحداث إلا في حلقة الذكر أو الدرس بحضرة الشيخ مع غض البصر عنهم ما أمكن، وكذلك النساء ومؤاخاتهن والاجتماع بهن كما عليه غالب فقراء هذا الزمان، فإن ذلك لا يجوز، وأما وعظهن والنصيحة لهن فذلك جائز.

ولقد قلت:

نصحتك يا هذا فإن تك طالبًا ... طريق الهدى فاعمل بكل كلامي

ويمم بصدق للطريق فإنه ... به يحتظي المشتاق كل مرام

طريق به نور الولاية ساطع ... رفيق بمن وافوا إليه ظوامي

وفيه فلذ إن رمت ترقى إلى العلا ... وسر باجتهاد وأنف طيب منام

فإن كنت من خطابنا قم بقولنا ... وإلا فسر عنا أخي بسلام

وهذا القدر كافي للإخوان الصادقين والمريدين العاشقين، فإن الذكي يفهم بالتلويح والإشارة، والغبي لا يفهم ولا بصريح العبارة، ومن عمل بالقليل جره ذلك إلى الكثير، ونسأل الله سبحانه أن يوفقنا وإخواننا وأحبابنا إلى ما يرضيه من قولٍ وعملٍ وأن يختم لنا بالحسنى عند انتهاء الأجل، وألا يجعل حظنا القول باللسان، وأن يخلقنا ويحققنا في المعارف اللدنية والأسرار الخفية في السر والإعلان إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو الذي جمع الخيرات طوع يديه، وصلى الله وسلم على الحبيب الأعظم والسيد الأفخم، الإمام الجليل، والحبيب النبيل، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وشيعته وورائه وحزبه والتابعين لهم إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، آمين يا رب العالمين.

العهد الوثيق

في التوسل بالسادات الخلوتية أهل الطريق

لمنشئها الشيخ حسن عباس، الخلوتي طريقة، الشافعي مذهبًا، الطوخي مولدًا، المنصوري إقامةً، المتوفى يوم الخميس سنة ١٣٤٧ هـ

يـا رب بالـسر الخفـي الـساري ... فـضلاً أجرنـا مـن عـذاب النـار
والطـف بنـا في أمرنـا عنـد القـضا ... وتوفنـا كرامًـا مـع الأبـرار
يـا رب بالعهـد الـذي أودعتـه ... جبريـل يبلغـه إلى المختـار
وأمـين سر الـوحى بلغـه كـما ... عهـد الإلـه إليـه في أسرار
حقـق مآربنـا وتمـم نـصرنا ... واخـذل جنـود عـصابة الكفـار
نـور بـصائرنا بجـاه نبينـا ... طـه وبـدل عـسرنا بيـسار
ونبينـا المختـار بلغـه لمـن ... أخـاه سـيدنا عـلي الكـرار
الـسيد الأتقـى إمـام العابديـ ... ـن الـذاهين وقـدوة الأحيـار
وعـلي الكـرار لقـن سـيدي ... حسنا هـو البـصري ضيا الأبـصار
و حبيـب العجمـي عنـه وقـد حبـا ... داودًا الطـائي بالأنظـار
معـروف الكرخـي عـن داود قـد ... أخـذ الطريـق إلى الـسرى الـساري
وعـن الـسرى أخـذ الجنيـد رئيـسهم ... هـو سـيد الـصوفية الأخبـار
فعـن الجنيـد العهـد قـد وافى إلى ... ممـشاه دينـور أبي الأسرار
ومحمـد الـدينور عـن ممـشادهم ... سـلك الطريـق ففـاق كـل مبـار
ومحمـد البكـري اقتـدى بمحمـدٍ ... وبـه وجيـه الـدين في استبـصار
ووجيـه ديـن الله عاهـد سـيدي ... عمـر الـذي يعـزى إلى ذي الغـار

وأبو النجيب السهروردي أخذ
عهدًا عن البكري غوث الجار
والسهروردي للأبهري مرشد
ومحمد قطب الدين بالأنوار
ومحمد وهو النجاشي آخذ
عن قطب دين الله في استظهار
أما شهاب الدين وهو محمد
شيراز منشؤه وأصل الدار
فعن النجاشي ثم لقن عهده
لجمال دين الله في التسيار
ينمى لتبريز التي هي أرضه
وبه لإبراهيم عهد جار
الزاهد الكيلاني وهو ملقن
لمحمد ليث الطريق الضار
الخلوتي وله طريقتنا عزوا
نسبًا ولقنها إلى الأطهار
عمر الذي قد نال عنه عهودها
وبه إلى مبرام نور سار
و الحاج عز الدين عن مبرام قد
نجحت مقاصده بحسن جوار
والعز لقنها لصدر الدين من
غرب الجزائر من جيان الدار
والشيخ يحيى صاحب الورد اهتدى
بمنار صدر الدين خير منار
و محمد بن بهاء دين الله عن
يحيى تلقن ورده الستار
جلبي سلطان أفندي آخذ
عنه لخير الدين عهد البار
والقسطموني وهو شعبان لخيـ
ـر الدين يقفو إثره ويبار
والقسطموني وهو محيي الدين من
شعباننا قد مد بالأصار
عمر الفؤاد القسطموني تابع
وبه أخو جرم أخو استبصار
لعلى قرا باشا به تبعية
ولمصطفى درنا اقتفا السيار
ولسيدي عبد اللطيف به ائتسا
في عهده وطريقه ووقار

وأمامنـا البكـري المسمى مصطفى — مـن أنـشأ الأوراد بالأسـحار
عـن سـيدي عبـد اللطيـف سـلوكه — شـهر الطريـق بـسائر الأقطـار
قـد جـد فيـه مجـددًا أوراده — حتـى استـضاء بـه كـضوء نهـار
والـسيد البكـري لقـن قطبنـا — الـسيد الحفنـي أبـا الأنـوار
ولـسيدي الـدرديري أحمـد نـسبة — للعـارف الحفنـي عزيـز الجـار
ثـم الـسباعي صـالح عـن أحمـد — ومحمـد نجـل الـسباعي المـار
والحـاج طلخـان اقتـدى بمحمـدٍ — والـسر منـه لـشيخنا اسـتثار
عنـه تلقـى شـيخنا الجمـل الـذي — عنـه وصـلت العهـد بالأذكـار
جـازاهم الـرحمن خـير جزائـه — وأمـدنا معهـم بحـسن جـوار
وأباحنـا نظـر الرضـا في جنـة — وسـقى جماعتنـا مـن الأنهـار
متمتعـين عـلي الآرائـك ناظريـ — ـن جنـابه الأعلـى مـع النظـار

التوسل بالجميع

منـوا وجـودوا أيهـا الـسادات — فبـذكركم تتنـزل الرحمـات
منـوا علينـا واعطفـوا يـا سـادتي — أنـتم لطـلاب الرشـاد هـداة
لا تمنعونـا فـضلكم فلكـم لكـم — لمـن انتمـي لجنـابكم نفحـات
ولكـم دللـتم حـائرًا عـن رشـده — وعـلاه مـنكم همـة وثبـات
حـسن خويـدمكم وفعـلي سيء — وعـلى فعـال الـشر لي وثبـات
وهـو المـسكين الـذي أثرتـه مـن — زمـز الـذنوب جحافـل وثبـات
نظـرًا إلي بنظـرة أحيـا بهـا — ويكـون لي برضـاكم إثبـات
أنـتم غيـات الخلـق سـادات الـورى — وعـلى انتمائـي أنـتم أثبـات

نظـرًا إلى المحسـوب مـن خـدامكم بـل عبـدكم يـا أيهـا السـادات

الدعاء بهم

يا ربنا ندعوكا بخواص من عبدوكا يا ربنا نرجوكا نصرًا عزيز عاجلاً

نصرًا بلا إمهال.

يا ربنا لطفًا لطفًا إلهنا عطفًا عطفًا لبلائنا كشفًا كشفًا وارفع غلاء نازلاً

وتبدد الأوجال

يا ربنا ضاق الخناق إلهنا حل الوثاق يا ربنا كشف المشاق والرفق في هذا الغلا

وتحول الأحوال

يا من مجيب السائلا يا من يغيث الآملا الكل أقبل سائلاً، نظر الرضا كشف البلا

يدعو بذل سؤال

اخذل جنود المعتدين شتت جيوش الظالمين اقبل دعاء المسلمين يا من يغيث السائلا

بتحقق الآمال

ثم الصلاة على النبي الهاشمي اليثربي وسلام ربي الطيب ولصحبه، ولمن تلا

ولصحبه والآل

ما لاح نجم أو غرب ما انهل غيث، وانسكب ما لجّ داع في الطلب وأجابه رب العلا

وأجيب في التسال

الحمد لله الذي هدانا، وجعلنا من أتباع سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام، ونسأله حسن الخاتمة إنه سميع.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمدٍ ﷺ وآله وصحبه أجمعين

فهرس الموضوعات